هل ينقذ الاتجاه الديني الرعي السادات من السقوط؟

صفحة جديدة.. ام قديمة تلك التي يريدها السادات من "الاخوان المسلمين"

الذين تابعوا «معركة» السادات الكلامية مع « رئيس » الاخوان المسلمين المصريين خلال اللقاء الذي عقده السادات مع رجال الدين ، اختلفوا في تحديد أبعاد هذه المعركة، وهدف السادات منها ، فبعضهم قال بانها اشاره لبدء حملة قمعية منظمة ضد التيار الديني و « الاخوان » كمرحلة جديدة من حملة القمع المتتالية المراحل والتي كان آخرها اعتقال زعماء التجمع الوطني التقدمي الوحدوي والتقدميين والشيوعيين البارزين بعد تقييد هامش الحرية الصغير المتبقي للصحافة واعتقالات العمال . والبعض الاخر قال بانها مد يد للتحالف مع الاخوان والتيار الديني بشرط ان يتخلى هؤلاء عن موقفهم المعارض لمعاهدة السادات مع العدو الصهيوني وان يتبنوا موقف شيخ الازهر في هذا الصدد .

الرأي الاول يستند الى مواقف « الاخوان » والتيار الديني المستمرة ضد المعاهدة السادتية ، سواء على صفحات مجلة « الدعوة » التي يرأس تحريرها التلمساني ، أو من خلال البيانات السرية والدعوات الشفهية في خطب وندوات الجوامع أو في تحريض الدعاة الشباب « الملتحين » داخل الجامعات والمصانع وفي الريف . ويعتمدون ترديد السادات لمقولته بفصل السياسة عن الدين ، ورفضه لاي عمل سياسي يستند الى الدين ، كتاكيد لرأيهم . ويضيفون اليه الهجوم الذي شنه السادات - خلال اللقاء - على التلمساني ومجلة « الدعوة » وهو هجوم على « الاخوان » دون تسميتهم وترديده لكلمة « عيب » على أعمالهم وكتاباتهم ، والتهديد بقفل المجلة « غير المرخصة » ، مذكرا التلمساني بحادثة الطالب الذي تحداه في لقاء بالطلبة عام ١٩٧٧ - وهو طالب من الاخوان - ملمحا من خلال استعادة القصة الى غلقه لاتحاد طلبة مصر الذي يسيطر عليه « الاخوان » لمعارضتهم المعاهده . ويشيرون الى مدى الجزع الذي أصاب التلمساني وجعله يرتج من العصبية ويرفع يديه الى السماء صارخا بشكوى السادات الى الله . ومع أن أصحاب هذا الرأي تستوقفهم جملة السادات الاخيرة « ... لنفتح صفحة جديدة من الان وصاعدا » الا أنهم يعيدوها الى رغبة السادات بقفل المعركة الكلامية التي انفجرت في اللقاء .

أما أصحاب الرأي الاخر ، الذين يرون بان السادات يمد يده الى التيار الديني والاخوان المسلمين للتحالف معهم ، فهم يستندون الى وقائع اللقاء نفسه ، والى جملة معطيات الحياة السياسية الداخلية في مصر . ففي اللقاء اهتم السادات بدعوة التلمساني واعطائه فرصة الكلام دون تحديد للوقت أو مطالبة بكلمة مكتوبة مارد على السلطات المعنية، بينما اشترط ذلك على البقية ومنهم شيخ الازهر وأعوانه الذين يمتلكون حساسية كبيرة من التلمساني ، كما أن الكلمة الاخيرة التي ألقيت في اللقاء قبل أن يتحدث السادات كانت من نصيب التلمساني أيضا ، وهذا له دلالات كبيرة . لقد كانت جميع الكلمات مدحا بالسادات وأفضاله ، عدا كلمة التلمساني التي ارتجل فيها نصائح وتوجيهات للسادات نفسه لتصحيح سياساته ، وفي العادة يغضب السادات ويثور لاقل من هذا بكثير ويقاطع المتحدث بل ويسكته ، بينما يرمي غليونه جانبا وتأخذ يداه المرتجفة بالفرع على الطاولة وهو يصرخ متوعدا بصوت متهدج ، لكنه هذه المرة جلس يستمع للتلمساني باسترخاء كامل ودخان غليونه يتصاعد بانتظام .. اذن كان السادات يتوقع ذلك ويريده . كما أن رده الهادىء مع تكرار كلمة « عيب » التي لا تعدو أن تكون جزءا من عاده شخصية للسادات في انتقاده لكلمة محدده - أما كانت - ترددها خلال حديثه لقصور في بلاغه الكلامية .. رده الهادىء هذا ، وتذكره التلمساني بتحديه مع حسن البنا زعيم الاخوان الذي أعدمه عبدالناصر بعد مؤامره « الاخوان » ضد ثورة يوليو الفتية في حينها ، واشارته لسماحه باستمرار صدور « الدعوة » مع انها تهاجمه ولا تملك ترخيصا بينما يستطيع هو اقفالها حتى لو امتلك الرخصة بوسائل عديدة (كما حدث مع جريدة التجمع « الاهالي ») ، وانتهاء بطلبه لفتح صفحة جديدة بين نظامه والاخوان ، كل هذا يشير الى الرغبة الشديدة للسادات في عقد تحالف مع التيار الديني ، في وجه التيارات الوطنية والقومية التقدمية واليسار . ويؤكد أصحاب هذا الرأي أيضا ان السادات أصبح واثقا أكثر من أي وقت سابق أن حزبه الذي غير اسمه عدة مرات خلال السنين الاخيرة لا يعدو أن يكون تجمعا لبروقراطي رأسمالية دولته الذين تقتضي مصالحهم الالتفاف حول رأس الدولة وقيادتها أيا كان ، ولا يمتلكون أي نفوذ جماهيري في الوقت الذي تصاعدت فيه جماهيرية التيارات الدينية - لاسباب كثيره - خلال الفتره الماضية ، لذا فهو يريد الان أن يتحالف معها لتمنين مركزه المهدد بالانهيار .

البحث عن حلفاء

المعطيات الحالية داخل مصر تشير الى أن السادات يواجه صعوبات جمة. فالوضع الاقتصادي المنهار واضطراره الى رفع الاسعار يزيد من تزايد النقمة عليه في الاوساط العمالية والفلاحية والشعبية والتي يمتلك التقدميون فيها نفوذا يمكنهم من تحريضها وتعبئتها في الوقت اللائم ، كما ان سياسته الدكتاتورية الفردية المعادية للديمقراطية وحرية الرأي تثير ضده أوساطا سياسية برجوازية ومثقفة اضافة الى التقدمية التي يكيل لها الضربات المتلاحقة . وعلى الصعيد القومي والسياسة الخارجية تزداد معارضة الجماهير ضد معاهدته الخائلة مع العدو الصهيوني وارتمائه الكامل في حضن الامبريالية الامريكية وفتح أبواب مصر أمامها . ان هذا الواقع دفع السادات للبحث عن حلفاء يمكنونه من الصمود

السادات : البحث عن حلفاء فاعلين

خلال المرحلة الحالية لانهاء عملية قمعه المنظم للقوى التقدمية ، ولتضليل الجماهير ، حلفاء لهم قاعده اجتماعية وكلمة مسموعة من الاوساط الشعبية البسيطة الواسعة في مصر ، فكان أن وقع اختياره على « الاخوان المسلمين » .

ولنتساءل ما هي دوافع هذا الاختيار ، خصوصا وان « الاخوان » يعارضون سياسته وخصوصا المعاهدة مع الصهاينة ، وهم قد بنوا جماهيريتهم مؤخرا حول هذه الاطروحة ؟

الواضح أنه يجب الفصل أولا بين « الاخوان » والجماعات الدينية التقدمية التي تكون قسما مهما من التيار الديني العام في مصر - وهذا ما يخلط على أصحاب الرأي الثاني الذي قدمناه - فهذه الجماعات الحلقة الصغيره المتعدده ، تتبنى مواقف مبدئية ضد السادات وسياساته الداخلية والخارجية ، وهي تدافع عن الديمقراطية وحرية الرأي ، وهم الذين قصدهم السادات بقوله للتلمساني - في اللقاء اياه - حول المعلومات عن لقاءات وتحالف مع التقدميين واليسار ، بعدها رد التلمساني بالانكار ، وهذا ما كان يعلمه السادات ، ولكنه قصد من ذكر الواقعة التلميح للتلمساني بفصل « الاخوان » عن هذه الجماعات الدينية التقدمية الداعية للتحالف مع التقدميين من أجل اسقاط النظام ، والاتجاه نحو التحالف معه .

بعد هذا ، وبعد تأكيد المبررات التي يعطيها « الرأي الثاني » حول رغبة السادات بالتحالف مع « الاخوان » ، نذكر أن دوافع السادات لم تبن اعتباطا ، اذ انه يعلم بان « الاخوان » يمثلون الاتجاه الرجعي في التيار الديني ، وهم اذ يعارضون معاهدته وانفتاحه على الغرب حاليا فهم لا ينطلقون في ذلك من موقف مبدئي بل من تكتيك مؤقت لكسب الجماهير . وهذا ما قصده السادات - بعد استقرار رأيه على التحالف مع « الاخوان » واختياره الخطوات التكتيكية للوصول الى ذلك - بتذكير التلمساني بتحالفه مع « حسن البنا الله يرحمو » . لقد قصد السادات هنا أن يقول للتلمساني ، تذكر مواقف حسن البنا الذي تحالف مع الملك ضد النحاس باشا زعيم الوفد ورئيس الوزراء عند خلافهما حين خرج الوفديون يهتفون « الشعب مع النحاس » وأخرج البنا « الاخوان » يهتفون « الله مع الملك » . وكذلك تحالف البنا مع الطاغية اسماعيل صدقي رئيس الوزراء المصري الذي عقد معاهده مذلة مع بريطانيا سميت بمعاهدة « صدقي - بيفن » ثار الشعب ضدها بينما قال عنها البنا انها مشابهة لـ « صلح الحديبية » بين النبي وقريش، وكان السادات يقول للتلمساني : أليس من الواجب أن نقلد زعيمك البنا في اعتبار معاهدتي مع الصهاينة كصلح الحديبية ، ونعمل كما فعل البنا في الخروج الى الجماهير المتظاهرة بسياره بوليس مكشوفة لدعوتها للفرق ، والذي كان يعبر الاضرابات العمالية ... حراما .

ان تذكير السادات للتلمساني بحسن البنا ، واضح القصد والدلالة ، وهو جزء من خطوات التقارب المتجه نحو التحالف ، والمصافحة بشكل يحفظ ماء وجه السادات ويرضي غروره ، وسمح للاخوان بالانسحاب التدريجي من معارضة السلطة الى التحالف معها .

ويبقى أن نتساءل ، لماذا اذن « المعركة الكلامية » بين السادات والتلمساني والتي لم تكن في الكواليس بل على العلن ؟ ولماذا لم يستخدم السادات وسائل أخرى للتقارب ومنها الوسطاء ذوي العلاقة بالجانبين ؟ وهل كان التلمساني على علم بنوايا السادات التحالفية وفهم مضمون كلامه في اللقاء أم فهم عكسه ، أو أن « المعركة الكلامية » تلك ليست الا مشهدا آخر بعناية ؟!

الامر الاكثر حظا لتفسير هذه الامور، أن السادات بعد استقرار رأيه على التحالف مع « الاخوان » فضل أن تجري الاحداث على شاكلة ما جرت عليه في اللقاء - وسواء فهم التلمساني أم لم يفهم ، وكان الواضح انه لم يفهم لطبيعة ذاتية فيه ! - وان تجري المفاوضات السريعة بعد هذا اللقاء العلني ، لكي يكون السادات في موقع يسمح له في المستقبل عند فشل المفاوضات أو التحالف بالادعاء ان « الاخوان » هم الذين أتوا اليه راكعين ومتخلين عن آرائهم المعارضة له ، في حين انه « مسح الارض » بقائدهم في ذلك اللقاء . وعندها لن يخسر السادات شيئا ، بل سيربح تخلي الجماهير الشعبية البسيطة عن « الاخوان » الذين يشكلون بهم خطرا مستقبلا على نظامه . ولكن الشيء الذي نسيه السادات أن « الاخوان » يحظون بالتعاطف الجماهيري حاليا لمواقفهم المعارضة للسادات وحلفاءه الصهاينة ، ومعاهدته الخيانية ، وعند تخليهم عنها وتحالفهم معه فانهم سيفقدون مباشرة هذا التعاطف ، ولن يكونوا أبدا في موقع ينقذه من السقوط الى الهاوية .